MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا

كيف شيطنت طهران خصومها المعارضين؟ (منظمة مجاهدي خلق أنموذجاً)

ضياء قدور

حقوق النشر والطبع ورقياً والكترونياً محفوظة لصالح مركز أبحاث ودراسات مينا

بذل النظام الإيراني خلال العقود الماضية قصارى جهده مستعيناً بآلة إعلامية ضخمة الموارد، ومتشعبة الأساليب لتزوير وتشويه خصومه السياسيين، وإنكار وجود أيِّ صلات لهم بالمجتمع الإيراني بمختلف فئاته العمرية المتنوعة، في محاولة لقلب الوقائع التاريخية وتفريغها من معانيها من خلال ضخ الرواية الحكومية التي كانت تروج لها هذه الآلة الإعلامية داخلياً وخارجياً.

وعلى الرغم من أن المرجع الرئيس للتعريف بحركة المعارضة الإيرانية الرئيسة الممثلةِ بالمجلس الوطني للمقاومة الإيرانية، كان يأخذ لسنوات بشكل خاطئ مما يضخه الجهاز الدعائي للنظام الإيراني بشكل هستيري قبيل انتشار شبكات الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي على نحو واسع، إلا أن هذا الجهاز الدعائي قد طور من تكتيكه المتبع للاستمرار في سياسة شيطنة المعارضة. وأدى تواطؤ أو كسل بعض وسائل الإعلام، والصحفيين الذين لم يتأكدوا من مصدر الشائعات، ومدى دقتها لترويج القصص الحكومية غير الصحيحة، أو المضلِلة التي تم استغلال النظام لها فترة طويلة لإبقاء الحقائق المهمة حبيسة جدران الدعاية الحكومية.

مجاهدو خلق والنظام الإيراني، خصمان لا يجمعهما إلا العداء المستفحل

خلال قراءة موجزة لتاريخ العلاقة بين الخصمين، نجده تاريخاً حافلاً بالعداء المستفحل، كتبه نظام الملالي بأحرف من دم، في حين استخدمت فيه منظمة مجاهدي خلق البالغة من العمر ٥٤ عاماً كلَّ سبل النضال المشروع، بما في ذلك المقاومة المسلحة، منذ ركوب الخميني موجة ثورة عام ١٩٧٩، واستخدامها كرافعة لهيمنته على السلطة من خلال تطبيقه العملي لنظرية الحكم المطلق لولاية الفقيه، وإقصائه لجميع الفرقاء السياسيين الآخرين على الساحة الداخلية الإيرانية.

وفي الحقيقة، لم يكن لهذا العداء المستفحل أي علاقة بما تتبجح به الدعاية الرسمية الإيرانية عندما تصف منظمة مجاهدي خلق بالإرهابية، أو تتحدث عن دورها في الحرب العراقية الإيرانية أو تصفها بحركة ذات إيديولوجيات ماركسية، إذ إن جذورها الأساسية تعود للأفكار التي تبناها مسعود رجوي، المرشح الوحيد الذي منعه الخميني من الترشح للرئاسة في انتخابات عام ١٩٨٠، وقد شكل حينها التحدي الأكبر والعائق الأهم أمام انفراد النظام الديكتاتوري لولاية الفقيه بالسلطة.(١)

---

١. قراءة في كتاب نظام الملالي ومجاهدي خلق – عمليات النفوذ الإيراني المنهار – لينكولن بلومفيلد جونيور

صحيح أن بعض أنصار منظمة مجاهدي خلق الإيرانية كانوا حول الخميني عندما كان منفياً في باريس، لكن ذلك لا يعني أنهم آمنوا بنفس الإيدلوجية التي كان يضمرها الخميني، وخدع الكثيرين بشعارات النضال من أجل حرية الضمير ونهج الديمقراطية والتخلص من الهيمنة الخارجية آنذاك.

لذلك، تعود جذور العداء المستفحل بين الجانبين إلى رفض مسعود رجوي تأييده لمحاولات الخميني شرعنة هيمنته على السلطة وتشكيكه بالدرجة الأولى في الشرعية الدينية لولاية الفقيه التي ما تزال تعد جوهر قوة النظام الإيراني حتى اليوم.

رغم ذلك، وفي ظل غياب أغلب وسائل التواصل الحديثة، وانفراد الجهاز الدعائي الحكومي مصدراً وحيداً للمعلومات داخل إيران وخارجها، نجح الخميني في المراحل الأولى بتصوير ارتباط أعضاء هذه المنظمة بالعدو الخارجي المتمثل بالرئيس العراقي الراحل صدام حسين آنذاك، على الرغم من توجه العديد من أعضاء المنظمة للخطوط الأمامية، حيث أُسر الكثير منهم مع بدء الحرب العراقية الإيرانية.

لكن من أجل منع اكتساب المنظمة المزيد من الثقة والاحترام الشعبي الداخلي، وتعزيز الرواية الحكومية القائلة إن منظمة مجاهدي خلق خائنة، منع الملالي مقاتلي المنظمة من الدخول جبهات القتال.(٢) إضافة لذلك، فإن هذه الرواية الملفقة تنكرها أغلب المصادر التاريخية التي تقول إن أعضاء منظمة مجاهدي خلق الإيرانية لم يكونوا موجودين في العراق لمدة ستة سنوات تقريباً منذ بدء الحرب العراقية الإيرانية، وكانت سبع سنوات قد مضت من هذه الحرب دون أن تمتلك هذه المنظمة أي قدرات عسكرية.(٣)

حتى بعد أن تحولت الحرب العراقية الإيرانية من حرب الضرورة إلى حرب الاختيار بالنسبة لإيران بعد منتصف عام ١٩٨٢، وغدت الفرصة مواتية لإنهاء الصراع، إذ استعادت كامل أراضيها، حينذاك ضرب الخميني جميع جهود الوساطة الدولية عرض الحائط، واصفاً هذه الحرب بأنها هدية من اللّه.

لذلك، خلافاً لما تروجه الدعاية الحكومية بوصفها المستمر لمنظمة مجاهدي خلق الإيرانية بالإرهابية، ومطالبات نظام طهران المتكررة الحكومات الأجنبية بالتعامل مع مجاهدي خلق كمنظمة إرهابية، فإن مجموعة المقاومة، لم تتخذ العنف وسيلة أساسية للنضال ضد النظام الإيراني، رغم أنها خاضت فترات

---

٢. المرجع ا

٣. المرجع ا

من المقاومة المسلحة بعد أن أصدر الخميني فتوى صريحة بحق أعضاء المنظمة في صيف عام ١٩٨٨، واصفاً إياهم بأعداء اللّه الذين يجب قتلهم جميعاً.

في خضم ذلك، لم تشكل فتوى الخميني الصريحة ضد مجاهدي خلق في ثمانينيات القرن الماضي بداية لمرحلة جرائم الإبادة الجماعية، فحسب، بل شكلت أرضية لسياسة الشيطنة التي ما تزال تعتمدها دعايتها الحكومية..

وإلى جانب عمليات الإعدام الوحشية التي طاولت أكثر من ٣٠ ألف سجين سياسي من أنصار المنظمة في الداخل الإيراني، كان النظام الإيراني يعمل على الجانب الثقافي، إذ عملت ثورة الخميني الثقافية على تصفية مؤسسة التعليم العالي في إيران لأجل إبعاد الطبقة المثقفة، خاصة فئة الشبان، عن الالتحاق بصفوف هذه المنظمة، بهدف القضاء على أي نوع من المعارضة الداخلية، وتهيئة الظروف لانفراد الخميني بالسلطة المطلقة.(٤)

حتى بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية، لم يتوقف النظام الإيراني عن محاولات القضاء على منظمة مجاهدي خلق، وفي نيسان/أبريل ١٩٩٢ قصف النظام معسكر أشرف في العراق مكان إقامة مجاهدي خلق، وفي عام ١٩٩٤، ومرة أخرى في عام ٢٠٠١ أطلق الملالي صواريخ سكود ضد مجاهدي خلق في العراق.(٥)

وكذلك شهدت الفترة التي تلت الاحتلال الأمريكي للعراق محاولات عديدة لتصفية أعضاء مجاهدي خلق داخل معسكراتهم (أشرف وليبرتي فيما بعد) باستخدام عملاء عراقيين تابعين للنظام، على الرغم من أن المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية قرر إنهاء المقاومة المسلحة ضد النظام في عام ٢٠٠١، وكان قد سلم كل أسلحته للقوات الأمريكية في عام ٢٠٠٣.(٦)

---

٤. المرجع ١

٥. اقرأ الجزء الاول والثاني في مقال (خروج مجاهدي خلق من العراق نصر أم هزيمة لطهران؟) – نزار جاف – صحيفة إيلاف

٦. المرجع ٥

وفي الحقيقة، اكتسب العداء المستفحل بين الجانبين مع مرور الوقت أهمية استثنائية تجلت أبرز ملامحها في إصرار النظام الإيراني على استخدام كلّ السبل المتاحة للقضاء كلياً على تلك المنظمة، وفي المقابل إصرار منظمة مجاهدي خلق على إسقاط النظام الديكتاتوري الحاكم.

وعلى الرغم من أن خروج آخر دفعة من أعضاء منظمة مجاهدي خلق من العراق نحو ألبانيا في ٩ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٦، كان انتصاراً مرحلياً في مسيرة نضال هذه المجموعة المقاومة بعد التحركات الدبلوماسية الإيرانية المكثفة في عدد من دول العالم والمنطقة لحثهم على عدم استقبال أعضاء هذه المنظمة على أراضيها، ومطالبات طهران المتكررة بتسليم أعضاء المنظمة لها، إلا أن البعد الجغرافي بين الخصمين لم يخفف من شدة العداء المتجذر، الذي اعتمد طهران فيه على سياسة الإرهاب والتجسس والشيطنة ضد المنظمة في جميع أنحاء العالم.(٧)

صحيح أن البعد الجغرافي بين الخصمين قد أثر على طبيعة الصراع، حيث وضع نهاية لفترة المقاومة المسلحة للمنظمة، لكن خروج المنظمة نحو أوروبا فتح الآفاق واسعاً أمام أعضائها لإعادة تنظيم صفوفهم وتوحيد جهودها لتعود أصلب عوداً وأقوى ، ولتغدو مجدداً هاجساً مرعباً لقادة النظام مع قيادتها لحملة منظمة ومستمرة للكشف عن البرامج النووية والصاروخية والتدخلات الإرهابية للنظام في المنطقة، وتحولها لمنبر لصوت الداخل الإيراني المقموع ومحرك انتفاضات الداخل وموجهها (الثورة الخضراء عام ٢٠٠٩، وانتفاضة ديسمبر ٢٠١٧، وانتفاضة يناير ٢٠١٨، وانتفاضة نوفمبر ٢٠١٩).

نظرة كلية على سلسلة الافتراءات الحكومية المتناقضة والمتكررة

خلال العقود الماضية، ظهرت مجموعة كبيرة من الافتراءات الحكومية حول منظمة مجاهدي خلق الإيرانية، بهدف تشويه صورة المنظمة عند النظر لكل ادعاء حكومي بشكل منفرد، لكن جمعها ضمن قائمة واحدة يظهر مدى تناقضها وسعيها الهستيري لتشوية المنظمة دون وجود أي رابط منطقي يجمع بين كل الادعاءات المزيفة ما يجعل من المستحيل على كل متابع تصديق أي من الروايات الحكومية التي اعتمدت مبدأ الكذب المستمر والمتكرر لإضفاء نوع من المصداقية عليها.

---

٧. المرجع ٥

وبالنظر إلى مجموعة المزاعم والادعاءات الحكومية حول مجاهدي خلق فإننا سنواجه الأمثلة التالية التي واظبت طهران على تكرارها منفقةً مليارات الدولارات في سبيل التبليغ والترويج لها منذ عام ١٩٧٩:

جماعة منافقة، القادة الكاذبون، والأعضاء المغرر بهم، جماعة إرهابية، جماعة مرتبطة بالاستكبار العالمي، جماعة ماركسية، أو تابعة لإسرائيل والمملكة العربية السعودية، الطابور الخامس للعراق، أتباع الأمريكان، جماعة مناهضة للعواطف الأسرية، أسرى وسجناء ومخدوعو تنظيم رجوي، الوفيات المشبوهة داخل منظمة مجاهدي خلق، طائفة أسوأ من الملالي، والمخدوعون بالقيادة الإيديولوجية.(٨)

إن نظرة على هذه القائمة الطويلة والمتنوعة من الادعاءات الحكومية المضلِلة وغير الصحيحة، وإن كانت تظهر مدى العداء الكبير الذي يكنّه مسؤولو النظام الإيراني لمنظمة مجاهدي خلق، لكنها في الوقت نفسه تظهر مدى الأهمية والتأثير المتزايد الذي نجحت منظمة مجاهدي خلق في كسبه خلال مسيرة نضالها الطويلة، رغم ما واجهته من عقبات خطيرة هددت وجودها ومستقبلها السياسي.

أهداف سياسة الشيطنة

على نحو عام، كان الهدف الرئيس لسياسة الشيطنة الحكومية المتبعة ضد منظمة "مجاهدي خلق" هو تشويه صورة المنظمة وأعضائها فيما بدا أن النظام يوجه من خلالها رسائل داخلية وخارجية تمحورت أبرز عناوينها في التركيز على أن هذه المنظمة فاقدة لأي أرضية شعبية، ولا تتمتع بأي رصيد داخلي، ولا يمكنها أن تشكل بديلاً للنظام الحاكم الذي حاول رسم تصور عامٍّ قائم على أنه أفضل الخيارات السيئة، عندما فشل في تلميع صورته في المشهد الدولي على الأقل.

ونظراً للإمكانات الهائلة التي وظّفها النظام في هذه المواجهة، يمكن القول إن منظمة مجاهدي خلق خاضت صراعاً غير متكافئٍ في ظل مواجهتها لهجمات سياسية وفكرية وأمنية وثقافية واسعة النطاق ضدها تعدت الداخل الإيراني إلى الصعيد الدولي.

---

٨. الصدام بين النظام الإيراني وبين مجاهدي خلق والواجب القومي والتاريخي (١) – حسين داعي الإسلام

الرسائل الداخلية:

لطالما كانت قضية علاقة مجاهدي خلق بالشعب الإيراني، ولا سيما فئة الشبان، تمثل قضية وهاجساً أمنياً كبيراً للنظام الإيراني، لدرجة أن اسم منظمة مجاهدي خلق كان محظوراً من التداول في الداخل الإيراني لفترات طويلة.(٩)

ولذلك، يرى النظام الإيراني أن أي نوع من الامتداد أو التطور في هذه العلاقة يمثل تهديداً خطيراً لبقائه في السلطة. وهذا ما تؤكده التصريحات الرسمية المتكررة الصادرة من أعلى مستويات السلطة، خاصة المرشد الأعلى علي خامنئي، الذي أكد في أكثر من مناسبة ضرورة ابتعاد الشبان الإيرانيين عن الالتحاق بمنظمة مجاهدي خلق، محذراً من هذا الخطر القديم المتجدد في كل الانتفاضات والثورات التي شهدتها إيران منذ عام ٢٠٠٩ (الثورة الخضراء) حتى انتفاضة نوفمبر ٢٠١٩ (انتفاضة البنزين). (١٠)(١١)(١٢)

إن محاولات شيطنة النظام لمنظمة مجاهدي خلق على المستوى الداخلي تُظهر خوف النظام الحاكم من قدرات المنظمة على تنظيم جبهة داخلية، وتكشف أيضاً زيف الادعاءات التي واصل النظام ترويجها حول عدم وجود أرضية شعبية لهذه المنظمة، إذ لا يمكن بطبيعة الحال لمنظمة معارضة أكثر النظام الحديث عن انتهاء مستقبلها السياسي أن تكون مؤثرة لدرجة كبيرة بتدخلها في أغلب الانتفاضات الإيرانية التي اندلعت خلال العقود الماضية.

الرسائل الخارجية

ركزت الرسائل الخارجية لسياسة الشيطنة الحكومية المُستهدِفة لمنظمة مجاهدي خلق الإيرانية على أن هذه المنظمة فاقدة لأي مستقبل سياسي أو دعم شعبي داخلي، وليس لها تأثير في التطورات السياسية والاجتماعية الإيرانية، وبالتالي لا يمكن أن تكون بديلاً مناسباً للنظام الحاكم الذي حاول تصوير

---

٩. خامنئي يزيح الستار كاشفاً عن مخاوفه من التحاق الشباب بمجاهدي خلق – موقع مجاهدي خلق

١٠. خامنئي يخالف روحاني: ما يحدث مؤامرة ينفذها "مجاهدي خلق" – العربية نت

١١. إيران: خامنئي يعلن تأييده قرار رفع سعر البنزين رغم الاحتجاجات – فرانس ٢٤

١٢. إيران .. خامنئي يبدي مخاوفه من التحاق الشباب بمجاهدي خلق – موقع مجاهدي خلق

منظمة مجاهدي خلق بأنها أسوأ منه بكثير، وأن محاولة استبداله بها لن يزيد من الأوضاع الحالية إلا سوءاً.

اتبع الملالي استراتيجية حثيثة تعتمد على نشر حملة المعلومات المضلِلة، التي تهدف لرسم تصور عالمي بأن المخاطب الوحيد الموثوق به في إيران هو النظام الحاكم فقط، مستغلين المخاوف الدولية من وقوع بلد مليء بالموارد العظيمة نظير إيران في فخاخ الفوضى الخلاقة دون وجود بديل حقيقي قادر على ضبط الأوضاع بعد سقوط النظام.(١٣)

وهذا ما تفسره أغلب مطالبات طهران المتكررة والمستمرة لحكومات العالم، خاصة الإدارات الأمريكية المتعاقبة وحكومات دول الاتحاد الأوروبي بوضع منظمة مجاهدي خلق على قوائم الإرهاب وطردها من دول اللجوء في ألبانيا وفرنسا، وربط أي نوع من الانفتاح والعلاقات مع طهران بوقف دعم هذه المجموعة المقاومة أو تسليم عناصرها وقياداتها لطهران.

وفي الحقيقة، لم يبدد النظام الإيراني الحاكم أي فرصة للضغط سراً وعلناً على الأطراف المختلفة لوضع منظمة مجاهدي خلق على قوائم الإرهاب أو تسليم قياداتها له، تارة على شكل مساومات سرية جرت خلال الاجتماع الذي عُقد في أيار/ مايو ٢٠٠٣ بين كبار المسؤولين الإيرانيين ونظرائهم الأمريكيين لمبادلة قادة المعارضة الإيرانية مجاهدي خلق الموجودين في مخيم أشرف في العراق بقادة لتنظيم القاعدة، وتارة من خلال مطالبات رسمية للحكومات الأجنبية المختلفة.(١٤)

---

١٣. إنغريد بيتانكور في الجمعية الوطنية الفرنسية.. "اليوم هناك بديل لدكتاتورية الملالي: مريم رجوي"

١٤. علاقة النظام الإيراني بتنظيم القاعدة – ضياء قدور – مركز دراسات مينا

الأدوات والتكتيكات (مراحل تطور سياسة الشيطنة)

لم يتبن النظام الإيراني نمطاً ثابتاً في الترويج لسياسة الشيطنة ضد مجاهدي خلق، إذ كانت هذه السياسة مرهونة بالتطورات السياسية والاجتماعية التي تطرأ على الساحة الداخلية والخارجية على حد سواء.

لذلك كانت السياسة الدعائية المناهضة لمنظمة مجاهدي خلق تتعرض للتغيّر الدائم لدرجة أنها تحولت من مرحلة الاكتفاء ببث التقارير الإخبارية أو بث الاعترافات المتلفزة المغلفة بكم هائل من الافتراءات في عقد الثمانينيات إلى مرحلة الهجوم الإعلامي الحاد على المنظمة وأعضائها في الوقت الحالي.(١٥)

بدايةً، ركزت سياسة الشيطنة في عقد الثمانينيات على الترويج أن منظمة مجاهدي خلق انتهت، ولم يعد لها القدرة على الاستقطاب إلى صفوفها. أما في التسعينيات، وفي عهد رئاسة رفسنجاني بالتحديد، تراجعت الدعاية المناهضة لصالح العمليات الإرهابية ضد المنظمة بعد أن ارتأى عدد من خبراء النظام أن أي إشارة لمنظمة مجاهدي خلق من شأنه أن يؤدي إلى المزيد من الترويج لها.(١٦)

رغم ذلك، وفي تناقض واضح لدعايات طهران حول انتهاء المستقبل السياسي لهذه المنظمة، بدأ النظام الإيراني الحديث بشكل علني عن منظمة مجاهدي خلق الإيرانية في بداية العقد الأول من الألفية الثالثة.

ويرجع هذا التطور اللافت في التكتيك المتّبع إلى تحول المنظمة، رغم العقبات العديدة التي واجهتها خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات، لظاهرة سياسية واجتماعية وعسكرية ذات شوكة قوية، عمدت على بث رسائلها من العراق المجاور إلى قلب الداخل الإيراني، من خلال البرامج التي بدأت قناة الحرية ببثها منذ عام ٢٠٠٠ نحو إيران على مدار الساعة.(١٧)

---

١٥. إيران ..السينما الزائفة –إنتاج أفلام يتبناها النظام للافتراء على مجاهدي خلق –١

١٦. المرجع ١٦

١٧. المرجع ١٦

وفي الحقيقة، شكّل الوجود العسكري المتجدد لمنظمة مجاهدي خلق في العراق وقربه من الحدود الإيرانية، ورسائل التمرد التي يطلقها هذا الجسد المنظم نحو الداخل الإيراني يومياً، قلقاً متزايداً لدى قادة طهران دفعهم لإحداث تغييرات جذرية في سياسة التعاطي الإعلامي مع هذا الخطر المحدق على الحدود.

رغم ذلك، كانت الكفة الراجحة في التأثير والانتشار تميل لصالح سياسة الدعاية الحكومية في ظل غياب أغلب وسائل التواصل الحديثة، وغياب أي فرصة للمتلقين تسمح لهم بالتأكد من دقة الخبر الحكومي وتحليل مصداقيته.

إنتاج جميع أنواع الأفلام الوثائقية والمسلسلات المناهضة لمجاهدي خلق

أنتج النظام الإيراني عدداً قليلاً من الأفلام المناهضة لمنظمة مجاهدي خلق الإيرانية خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات، لكنه أنفق مبالغ باهظة في هذا المجال منذ بداية العقد الأول من الألفية الثالثة، حتى السنوات القليلة الماضية، ليصل معدل الإنتاج السينمائي خلال هذه الفترة إلى ما يربو عن ١٨٠ فيلماً وثائقياً ومسلسلاً.(١٨)

وعلى ما يبدو كانت الثورة الخضراء التي اندلعت في عام ٢٠٠٩، من أهم الدوافع التي أجبرت النظام الإيراني على تغيير سياسته الدعائية تجاه مجاهدي خلق بعد أن كان النظام يكتفي فقط بالإشارة ضمنياً لهم. لذلك، كان فيلم (نفوذي: أي العميل) أول فيلم تم إنتاجه وعرضه خلال عام ٢٠٠٩، ليتناول الحديث عن التيارات داخل مجاهدي خلق مباشرة.

وعلى الرغم من أن إنتاج هذه الأفلام والمسلسلات كانت تعبيراً ضمنياً عن المخاوف التي كانت تساور المرشد الأعلى الإيراني ومسؤولي النظام من التأثير الداخلي لمنظمة مجاهدي خلق الإيرانية، إلا أن استمرار إنتاجها بكثافة كان بناءً على تأكيد خبراء النظام الإيراني على أن الأفلام السينمائية هي السلاح الأكثر تأثيراً في الدعايات الحكومية، نظراً لانتشار دور السينما على نحو واسع داخل إيران وإقبال الإيرانيين عليه دورياً.(١٩) لذلك كان هذا السلاح أحد أهم أدوات الدعاية الحكومية للتأثير الداخلي المضاد لأمواج

---

١٨. المرجع ١٦

١٩. المرجع ١٦

التعاطف الشعبي مع مجاهدي خلق أثناء وجودها في العراق بعد نجاح المنظمة في الخروج من قوائم الإرهاب الأمريكية والأوروبية عام ٢٠١٢، والهجمات الوحشية التي قادها النظام على مقر أشرف في الفترة الممتدة ما بين عام ٢٠٠٩ وعام ٢٠١٣.

رغم ذلك، كانت الأفلام التي أنتجتها الدعاية الحكومية ضد مجاهدي خلق عموماً نمطية وغير احترافية إلى حد بعيد بسبب اعتمادها على تقديم صورة كاريكاتورية للغاية عن المنظمة كالشخصيات الشريرة في أفلام هوليوود أو مجموعة من الأشخاص البربريين الذين لا منطق لهم سوى القتل.

لكن فيلم "ماجراى نيمروز ٢ رد خون" (أحداث الظهيرة ٢)، الذي عرض على الجمهور في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٩، حاول اتخاذ نوع من المصداقية لكسب ثقة المشاهد المعارض للوهلة الأولى. في حين كان الهدف الرئيس منه هو تبرير ما ارتكبه النظام الإيراني من جرائم بحق أعضاء مجاهدي خلق في عام ١٩٨٨. (٢٠)

لذلك، كان إنتاج الأفلام الوثائقية أحد تكتيكات التأثير على الجمهور المعارض للنظام أيضاً، لتوجيه رسالة لهم مفادها أن الطريق الذي تسلكونه سوف يحولكم إلى بشر متوحشين، وأن الفائز في هذه المعركة هو النظام الحاكم.

---

٢٠. إيران ..السينما الزائفة – إنتاج أفلام يتبناها النظام للافتراء على مجاهدي خلق –٣ – موقع مجاهدي خلق

استخدام الفضاء الإلكتروني

مع انتقال الدفعات الأخيرة لكوادر منظمة مجاهدي خلق الإيرانية إلى الأراضي الألبانية في ٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١٦، طرأت تغيرات جذرية على طبيعة الصراع بين الخصمين اللدودين، وضعت نهاية لفترة المقاومة المسلحة لمجاهدي خلق، لتبرز بعدها رويداً رويداً مظاهر الصراع المتجدد الذي كان الفضاء الافتراضي ساحة أساسية ومهمة له. وكان لهذه الساحة أهمية كبيرة لدى الطرفين مع الفارق الشاسع بالإمكانيات اللوجستية والمادية لكليهما.

رغم ذلك، وباعتراف المسؤولين الإيرانيين، كانت الحرب التي تقودها منظمة مجاهدي خلق في الفضاء الإلكتروني أكثر صعوبة من عملية الضياء الخالد على النظام الإيراني، إذ اعتمدت فيها المنظمة أدوات وسائل التواصل الاجتماعي لمخاطبة جماهيرها في الداخل واستطاعت أن تكون صوت الانتفاضات التي شهدتها إيران في العقود الثلاثة الماضية.(٢١)

وفي المقابل، لم يتوان النظام الحاكم في طهران عن استخدام هذا التكتيك معتمداً فيه على إمكانيات بشرية ومادية كبيرة تهدف إلى إنشاء الآلاف من الحسابات الوهمية على منصات وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة للترويج لسياسة الشيطنة الحكومية ضد مجاهدي خلق.(٢٢)

واستغلت طهران الفضاء الافتراضي لنشر الشائعات حول طرد أعضاء المنظمة من دول أوروبا في مسعى لفرض حالة من الحرب النفسية ضدهم، سواءٌ من خلال نشر هذه الشائعات على حسابات وهمية ينشئها الجيش السيبراني الإيراني على أنها حسابات مسؤولين أوروبيين رفيعي المستوى، أو من خلال خدعة احتيالية تقوم على نشر الشائعات على حسابات وهمية، والعمل على تدويرها ونشرها ضمن وسائل إعلام غربية وعربية، تدّعي أنها مواقع لمكافحة الإرهاب، ولرصد جرائم منظمة مجاهدي خلق، ثم يأتي دور الإعلام الحكومي لنشر الخبر المفبرك ذاته بعد إضفاء نوع من المصداقية عليه.(٢٣)(٢٤)(٢٥)

---

٢١. الجيش الإلكتروني لنظام الملالي وفضيحة الشائعات (٢-١) – إيران بلا أقنعة

٢٢. المرجع ٢٣

٢٣. سي إن إن: »أمريكان هيرالد تريبيون «تابعة للحكومة الإيرانية

٢٤. موقع هابليان

إن تطور القدرات السيبرانية الإيرانية خلال العقود الماضية أتاح الفرصة لطهران لمراقبة خصومها، وشيطنتهم والتجسس عليهم والانتقام منهم، إذ كانت ولا زالت منظمة مجاهدي خلق الإيرانية وكوادرها أحد أبرز ضحايا الحملات السيبرانية التي ينظمها عملاء التهديد الإيراني الذين عملوا على التأثير على انتشار رسائل منظمة مجاهدي خلق في جميع أنحاء إيران عبر وسائل التواصل الاجتماعي من خلال خلق طوفان من الرسائل السلبية للدعاية الحكومية.(٢٦)

حتى إن طوفان هذه الرسائل التي انتشرت بفضل سلسلة من الروبوتات لخلق ضجة كبيرة وزيادة الاستخدام والانتشار، قد وصلت لمستخدمين عاديين لوسائل التواصل الاجتماعي ما يظهر مدى ضخامة هذه الحملة ودقة تنظيم الرسائل السلبية التي كان الحرس الثوري الإيراني ووزارة المخابرات الإيرانية يقفان وراءها.(٢٧)

شراء وسائل الإعلام وتجنيد الأعضاء السابقين للمنظمة

أجبرت الصورة السوداوية التي تحيط بالنظام الحاكم، والعزلة السياسية الإقليمية والدولية المتزايدة التي يعيشها، بسبب سياسة القمع الوحشي وتصدير الإرهاب الخارجي، إلى اعتماده أساليب غير مباشرة لترويج سياسة الشيطنة الحكومية بسبب عدم فعالية الأدوات المباشرة في إضفاء أي مصداقية على الروايات الحكومية. وكانت هذه الأدوات غير المباشرة تعتمد شراء بعض وسائل الإعلام الشهيرة ورشوتها لتقديم روايات سلبية من خلال أعضاء سابقين في منظمة مجاهدي خلق الإيرانية حتى يكون للرواية الحكومية المفبركة تأثير بالغ.(٢٨)

---

٢٥. موقع أشرف نيوز

٢٦. القدرات السيبرانية الإيرانية (الحرب الأخرى بين إيران وخصومها) – ضياء قدور – مركز دراسات مينا

٢٧. تقرير شركة تردسون ٧١ (Treadstone 71)عمليات النفوذ والتأثير النظام الإيراني – إيران بلا أقنعة

٢٨. هل تحولت البي بي سي لمنبر إعلامي تابع للحرس الثوري الإيراني؟ – ضياء قدور – موقع مجاهدي خلق

وحتى إن الأسلوب غير المباشر هذا كان يتضمن في بعض الأحيان انتقاداً متزامناً للنظام الحاكم ومجاهدي خلق في آن معاً، لإغراق المتابع بالتفاصيل التي لطالما انتهت بترسيخ صورة تقول إن منظمة مجاهدي خلق أسوأ من الملالي الذين يجب الحفاظ عليهم كي لا تتجه الأوضاع نحو مستويات غير قابلة للسيطرة.(٢٩)

وفي الحقيقة أنشأ النظام الإيراني واستغل العديد من المنافذ الإعلامية والمواقع الإلكترونية في الدول الأجنبية بما يتناسب وثقافات وسياسات تلك البلدان وجالياتها الإيرانية المغتربة لزيادة تأثير الرواية الحكومية وسعة انتشارها.(٣٠)

عموماً، كانت الرواية الحكومية المناهضة لمنظمة مجاهدي خلق تخفي طبيعتها الحقيقية مستخدمة لغة الجمهور المستهدَف وثقافته، وتعريضه لحملة تضليل واسعة النطاق يقودها كتّاب مأجورون تظاهروا في بعض الأحيان على أنهم كتّاب مستقلون أو علمانيون معارضون للحكومة الثيوقراطية وللدين.(٣١)

ورغم أن هذه الأساليب الاحتيالية قد وجدت طريقها للعديد من وسائل الإعلام العربية والعالمية، إلا أنَّ بعض الحالات نجحت منظمة مجاهدي خلق في الانتصار في المجال القانوني برفع دعاوى قضائية في المحاكم الأوروبية انتهت بحذف هذه الافتراءات من صحف ومجلات عالمية مشهورة.(٣٢)(٣٣)

النقطة المهمة في هذا الأسلوب غير المباشر هي أن العمليات الإعلامية الإيرانية السرية كانت تتكيف دائماً مع نقاط الحوار التي ظهرت في الأصل عبر وسائل الإعلام الحكومية للنظام. وبمجرد ظهور نقاط الحوار على نحو مختلف ويبدو أكثر مصداقية ومتانة، يمرر إلى وسائل إعلامية أخرى، حتى يُنسى المصدر الأصلي تقريباً، وتبدأ بعدها نقاط حديث مواقع النظام عنها باعتبارها نقاطاً موضوعية، ومقتبسة من وسائل إخبارية عالمية مشهورة.

---

٢٩. سياسي اسكتلندي: إيران تتلاعب بالإعلام الغربي وتشيطن المعارضة – العين الإخبارية

٣٠. التداخل بين الإعلام والثقافة والاستخبارات في إيران – معهد واشنطن

٣١. الشيطنة والتحضير للعمليات الإرهابية من قبل الملالي – موقع مجاهدي خلق

٣٢. أسوشيتيد برس.. أمرت محكمة مجلة شبيغل بسحب مزاعمها ضد مجاهدي خلق

٣٣. محكمة ألمانية تصدر حكمًا على فرانكفورتر ألغماينه لنشرها افتراءات ضد مجاهدي خلق

مجاهدو خلق الخطر المحدق بالنظام الحاكم

كانت وما زالت منظمة مجاهدي خلق الإيرانية الخطر الأبرز على النظام الحاكم، كونها تقدم بديلاً حقيقياً قادراً على حشد العدد والعتاد في حال الدخول في مواجهة حقيقية مع النظام الحاكم مقارنة بالتيارات المعارضة الأخرى المبعثرة، وتتمتع بأرضية شعبية واسعة تجلت ملامحها في شعارات التمرد التي نادى بها المنتفضون الإيرانيون خلال العقود الماضية، ناهيك بثقل التمثيل الدولي للمنظمة في المحافل الدولية وعلاقتها مع الحكومات الغربية.

إن جهود مجاهدي خلق في كشف البرنامج النووي والصاروخي والتدخلات الإقليمية السافرة للنظام الحاكم رفع من حجم رأس المال السياسي للمنظمة بين الحكومات الغربية، خاصة تلك التي تجد صعوبة في اتخاذ سياسة الاسترضاء والتهدئة مع طهران. بالإضافة لذلك، فإن وعي منظمة مجاهدي خلق الإيرانية بالدور المهم والرئيس للسياسة الخارجية الأمريكية في التطورات الداخلية لإيران وسعيها لاكتساب أدوات التأثير فيها، خاصة داخل معسكر الحزب الجمهوري، أكسبها القدرة على تحدي النظام الحاكم وتقديم رؤية واضحة لمستقبل إيران.(٣٤)

لذلك كانت المنظمة هدفاً أساسياً لعمليات التصفية والإبادة الجماعية والشيطنة الحكومية، التي استطاعت المنظمة أن توظفها في كسب المزيد من التعاطف والدعم الدوليين بعد النشاط الكبير الذي بذلته المنظمة في إنتاج المحتوى الإعلامي وتسويقه على وسائل التواصل الاجتماعي وشاشات التلفزة، ما جعلها قادرةً على المراقبة والإشراف على الأبواق الدعائية للنظام.

إن يأس الشعب الإيراني وإحباطه من إصلاح النظام الحاكم الذي سعى لطمس الهوية الوطنية الإيرانية وإهدار الثروات الوطنية على المشاريع النووية والتدخلات الإقليمية أكد صحة شعارات منظمة مجاهدي خلق بأن هذا النظام غير قابل للإصلاح ويجب إسقاطه، وهو ما قد يفتح الباب واسعاً أمام انضمام المزيد من الإيرانيين الناقمين على النظام الحاكم إلى شعارات التمرد التي تبنتها منذ البداية حصرياً منظمة مجاهدي خلق الإيرانية التي تعدّ من أكبر التنظيمات الإيرانية المعارضة وأكثرها تنظيماً.

---

٣٤. مجاهدي خلق" الأكثر تنظيما في صفوف المعارضة الإيرانية – اندبيندت عربية

خلاصة واستنتاجات

ما سبق يقودنا إلى مجموعة من الاستنتاجات:

* كانت سياسة الشيطنة الحكومية الممنهجة المناهضة لمنظمة مجاهدي خلق، رغم عدم تبنيها نمطاً وتكتيكاً ثابتين، ومرورها بمستويات تطور مرحلية مرهونة بالتطورات السياسية الاجتماعية، تعبيراً عن مخاوف المسؤولين الإيرانيين من الأفكار الثورية للمنظمة التي تهدد أسس النظام الحاكم، واستقراره بالدرجة الأولى.

* كانت سياسة الشيطنة والعمليات الإرهابية المنفذة ضد مجاهدي خلق وجهين لعملة واحدة، إذ شرعنت طهران أفعالها الإجرامية بحق أعضاء هذه المنظمة وقياداتها من خلال سياسة الشيطنة، في حين كانت هذه العمليات الإرهابية تفسيراً عملياً لجوهر العداء المستفحل الواضح في رسائل طهران الإعلامية.

* عمدت طهران من خلال تشويه صورة مجاهدي خلق لتوجيه رسائل داخلية وخارجية تمحورت أبرز عناوينها حول فقدان هذه المنظمة أية أرضية شعبية، ولا يمكنها أن تشكل بديلاً حقيقياً للنظام الحاكم.

* قدمت منظمة مجاهدي خلق مثالاً نادراً في مواجهة النظام الحاكم بعد تعرضها لعدد من الاختبارات الشديدة والقاسية في مواجهة غير متكافئة معه، واكتشافها قوانين واستراتيجيات جديدة على بعد آلاف الكيلومترات من وطنها ما أكسبها المزيد من الديناميكية في مواجهة مخططات النظام الخبيثة ضدها.